عنوان المحاضرة الرابعة : التنقيح والمعاودة والمصطلحات الدالة عليهما أو المعبرة عنهما

اعداد : أ . م . د . مرتضى عبد النبي الشاوي

دراسات عليا – ماجستير / فرع الأدب / مادة دراسات في النقد العربي القديم

مدخل :

تتوارد مصطلحات عدة على معنى تنقيح النصوص الأدبية وقد يكون التنقيح أكثرها دوراناً في الاستعمال في مصادر النقد العربي القديم وهذا مسوغ اختياره من سائرها وفيها (التنقيح والمعاودة والتهذيب والتحكيك والتثقيف والتقويم والاصلاح والتشذيب والروية) وغير ذلك .

التنقيح والمعاودة :

التنقيح : هو تخليص الجيد من الرديء ، وهو في المعاجم الأخرى التشذيب يقال نقحت الجذع ونقحته إذا شذبته من الليف .

ودخلت اللفظة ميدان الأدب في قولهم : فلان ينقح شعره فهو شعر منقح أي مفتش ملقى عنه ما لا يصلح منه وقد روي عن الحطيئة قوله (نقحوا القوافي فإنها حوافر الشعر) أي أصوله .

وهناك مؤلفات لم تعنون بكلمتي (الصنعة) أو الصناعة) لكنها أدت معناها (عيار الشعر) لابن طباطبا و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر وهناك مؤلفات أخرى تلت القرن الرابع الهجري تحمل اسم (الصنعة) ككتاب (العمدة في صناعة الشعر ونقده) لابن رشيق القيرواني ، و(الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور) لابن الأثير الجزري وغيرها .

أما مصطلح التنقيح والمعاودة فلا توجد كتب متخصصة لهذين المصطلحين لكننا نجدهما في ثنايا كتب الأدب .

فعند اسامة بن منقذ إذ تناول التنقيح في كتابه بباب سماه (باب التهذيب والترتيب) وابن ابي الاصبع المصري خص كتابه بباب (التهذيب والتأديب) وابن معصوم المدني (التهذيب والتأديب) في الجزء الخامس من كتابه .

أما المؤلفون المحدثون فقد تناول شوقي ضيف التنقيح والمعاودة في كتابيه (شوقي شاعر العصر الحديث) و (البارودي رائد الشعر الحديث) .

ومحمد الديراوي في كتابه (الفن و الصنعة في مذهب أبي تمام) .

المعاودة : مصطلح نقدي يؤدي وظيفته النقدية من خلال توجيه الأدب وتقويمه وتجويده .

والمعاودة في اللغة من : عاد إليه أي رجع واستعاده سأله أن يفعله ثانياً ، والمعاودة هي الرجوع إلى الأمر الأول والعائدة هي المنفعة فالمعاودة هي الرجوع الى الأمر الأول من أجل منفعة .

أما في الاصطلاح ففيها معنيان :

الأول : الرجوع الى امتطاء ما صعب ركوبه أول الأمر لمواصلته واتمامه .

والثاني : عبارة عن إطالة النظر في الكلام بعد عمله لينقح . والمعاودة في الأدب لا تخرج عن هذا المعنى .

فالشاعر يجب المعاودة والمراجعة للقصيدة وتهذيبها بحيث لا يمكن أن يقال فيه لوكان غير هذا لكان أحسن ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان أجمل .

فالمعاودة اذن هي عبارة عن ترداد النظر في النص الشعري بعد عمله لينقح فالشاعر لا بد له من نظرة أخيرة يلقيها على قصيدته بعد الفراغ من بنائها ليرمم هذا البناء بالتهذيب والتنقيح بإلغاء ما غثّ من الأبيات ورث ورذل من الألفاظ .

يتضح مما تقدم أنّ مصطلحي التنقيح والمعاودة يكادان يكونان مصطلحاً واحداً لأنّهما يؤديان فائدة واحدة مشتركة بينهما حيث انّ التنقيح لا يكون الا بعد المعاودة والمعاودة قد تؤدي إلى التوجيه والتنقيح معاً أو إلى التوجيه وحده .

مصطلحات مرادفة

١-**الصنعة** : في اللغة هي العمل واتقان الشيء وهي من صنعت الشيء أصنعه صَنعاً أو صُنعاً ويقال ثوب صنيع إذا كان جيداً وسيف صنيع اي يتعهده بالجلاء .

ويقترن مفهوماً التنقيح والمعاودة بالصنعة أو الصناعة لأنّ الصنعة هي ما تؤدى الى اتقان الشيء واحكامه كما في قوله تعالى : (صنع الله الذي اتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون)

وبعضهم خلط بين الصنعة والتكلف وهو ابن قتيبة عندما تحدث عن مدرسة الصنعة المتمثلة بزهير والحطيئة .

ومن الشعراء من مزج بين الطبع والصنعة في فنه على نحو لا يمكن فيه الفصل بين ما راجح الى الطبع وما هو عائد الى الصنعة فيكون له مع طبعه صنعة ومع صنعته طبع وما يسمّى بالصنعة الخفية كما هي الحال عن المتنبي .

٢-**التكلف** : في اللغة الابلاغ بالشيء والتعلق به يقال كلف بالأمر يكلف كلفا اذا أحبه فه كلف به وهو لا يخرج عن معنى الاهتمام وتحقيق الاجادة في القول لا بما يحمله مصطلح التكلف بمعنى الإكراه على القول وحصوله بمشقة .

والشاعر المتكلف عند ابن قتيبة هو الذي قوم شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير والحطيئة .

٣-**الرويّة** : في اللغة في مادة (رواً) وورد في قولهم في الأمر تروئة وترويئا أي نظر فيه وتعقبه ولم يعجل الجواب والروية ما أجلبه في صدرك من الرأي أو التفكير في الأمر .

أما في الأدب فهي عند الجاحظ تعني النظر والتفكير في الكلام قبل وضعه حتى يتصف بالجودة والاحكام .

٤-**التثقيف** : لفظة أخرى تؤدي ما تؤديه لفظة التنقيح من معان فالتثقيف في اللغة تقويم العوج يقال ثقفت القناة أقمت عوجها وتستعمل ايضاً للدلالة على العمل بحذق يقال ثقفت الشيء أثقفه ثقافة وثقوفة إذا حددته ثم اطلقت على عمل الشعر والسهر على تنقيته وتقويمه واظهاره على أحسن ما يمكن من تخير الألفاظ وجودة التركيب ثم اطلقت على الشاعر فيطلق عليه بالمثقف وقد شبه الشاعر بمثقف الرماح الذي يعمل على اقامة عوجها واصلاحها انحرافها .

٥-**التقويم** : يقال قوّم الشيء : أزال ما به من عوج فاذا اتصل المصطلح بالعملية الفنية والشعرية بصفة خاصة أصبح نوعاً من التهذيب يراد به البلوغ بالعمل الفني أقصى درجات الكمال والنضح والعملية التقويمية تتفاوت كماً طبقاً للوعي النقدي الذي يتمتع به الشاعر والذي يختلف بدوره من شاعر إلى أخر .

وترتبط العملية بمجموعة من العمليات الفرعية من قبيل التهذيب والصقل والتثقيف والتنخل وغيرها بيد أنّ التقويم يقع موقع النزاع بين الرفض والقبول بين الشعراء الذين ينتمون الى مختلف المدارس الشعرية من حيث الطبع أو الصنعة .

٦-**الإصلاح** : عملية تقويمية ترمي إلى تخليص الشعر مما به من سقط وتمييز ثمينة من غثّه وردئيه من جيده .

وهي خطوة تلي عملية الابداع الشعري وتتقدم العرض شأنها في ذلك شأن بقية مصطلحات التهذيب الشعري .

٧-**التشذيب** : بمعنى إزالة الشوائب والزوائد العالقة بالشيء من أجل تهذيبه وتقليمه فإذا انتقل المصطلح الى الشعر صار يرمي إلى ازالة ما فيه من حشو وزيادات لا غناء فيها من أجل تنقيحه وتصفيته وتهذيه وبهذا يعد التشذيب أحد خطوات الصنعة الشعرية شأنه شأن بقية العمليات التهذيبية المذكورة

٨-**التهذيب** : في التنقية يقال هذبت الشيء أهذبه هذبا اذا خلصته ونقيته وكذلك هذبته تهذيبا ورجل مهذب من العيوب نقي منها .

أما تهذيب النصوص فقد أشار إليه الجاحظ في كتاب الحيوان عن تأليف الكتاب وما ينبغي للكاتب أن يفعله فيه فيقصد به تخليصه مما يشينه ويفسده من المفردات والتراكيب حتى يستوي ويستقيم بناؤه وتكوينه وهو شأنه شأن التنقيح .

٩-**التحكيك** : هو العمل على تنقية ما يشين الشيء بصقله وهو في اللغة لا يخرج عن هذا المعنى يقال حككت رأسي وأنا أحككه وحك الشيء بيده حكاً واستعملت هذه اللفظة في الميدان الأدبي ، فالمحكك من الشعر هو المحبر وهو الذي اختبره قائله وعمل على تحبيره وتجويده وتحسينه وتنحية ما يشينه من ألفاظ وتراكيب فقد وصف الاصمعي بشارا بأنّه مطبوع ونفى عنه أن يكون من المحككين .

وعلى الرغم من وحدة المعنى بين التنقيح والتحكيك إلا أنّ لفظة التحكيك أقل استعمالاً من التنقيح إذ لم ترد بعدئذ إلا في نصوص قليلة .

١٠-**التحبير** : هو التحسين وهذه اللفظة ترادف التنقيح قيل للكتاب المكتوب بخط حسن : محبّر فالمحبر الشيء المزيّن وفي الجاهلية سمّي طفيل الغنوي : محبّرا لأنّه كان يحسن شعره ولم يكن التحبير يخص الشعر فكان يرتبط بالخطابة أيضاً ولعل التحبير اقترن في غالب استعماله بالخطب والفن النثري .

١١-مصطلحات أخرى منها :

الحولي وهو من الحول وهو سنة تامة وهو الزمن الذي يستغرقه لشاعر في تنقيح شعره وتهذيبه ، وهناك مصطلحات أخرى مرادفة كالتأديب والترتيب وقد يقترن الترتيب بالتنقيح والتأديب بالتهذيب .

نلحظ مما سبق أنّ التنقيح والمعاودة مصطلحان نقديان يتصل بهما ورادفهما مصطلحات كالصنعة والتكلف والروية والتثقيف والتهذيب والتحكيك والتحبير .

وإنّ مصطلحي الصنعة والتكلف الأكثر استعمالاً وشيوعاً من بقية المصطلحات الصنة الشعرية الأخرى . وهناك ايضا البري: من الفعل (البري) من الفعل برى العود أو الحجر ونحوهما برياً : نحتهم فهو بار ومنه المثل : أعط الفرس باريها وبرى القلم سوّى طرفه للكتابة وعندما تنتقل الكلمة كمصطلح إلى مجال الأدب والشعر بخاصة تصبح أقرب إلى نوع من التهذيب والتنقيح أو لنقل التقليم للقصائد الشعرية وينطوي هذا على قدر من الحذف للحواشي والزوائد التي لا غناء فيها وبالتالي تقليص القصيدة هو المستفاد من التسوية وتقليم الأطراف .

وظائف التنقيح في النص الشعري :

يؤدي التنقيح وظائف متعددة في النص :

١–فهو تارة يكون جمالياً فيبدل المبدع لفظا من لفظ أو حرفاً من حرف أو يحذف بعض عباراته التي يرتاب فيها أو يحذف أكثر القصيدة اكتفاء بما يتبقى له من أبيات عيون وعليه فإنّ دوراً أساسياً في صياغة النص وتقليل العيوب وقيام المبدع هنا بدور المتلقي يبرز أثره في كثرة العيوب في النصوص غير المحككة وقلتها في قسيمتها من النصوص التي أديم النظر فيها المرة تلو الأخرى .

٢–وتارة أخرى يكون لتحقيق ائتلاف النص واحكام سبكه ووحدته فالنص الجيد الذي تعارف عليه النقد العربي هو النص المحكم المنسجم الذي كأنّه الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض وهذا يقتضي حسن التأليف والرصف الذي يزيد المعنى وضوحا.

٣–وثالثة يهدف التنقيح الى توضيح النص ونفي التعقيد اللفظي والمعنوي عنه .

٤–وقد يمارس المبدع التنقيح تجاه نصه بقصد اثارة اعجاب المتلقي والاعجاب هنا يتناسب طرديا مع حالة متلقي النص فهما وذكاء ومعرفة وخبرة فمن كان في طبقة المتلقي الواعي الخبير لزمه قدر من التنقيح أكثر مما يلزم غيره ممن هو أدنى رتبة .

وخلاصة ذلك :

إنّ مصطلح التنقيح يشمل النص كله بمختلف جوانبه وذلك من حيث ألفاظه مفردة أو مركبة ومن حيث معانيه وصوره ومن حيث أوزانه وقوافيه ومن حيث قدرته على التأثير والإقناع وتحقيق الغايات والمقاصد وقبل هذا وبعده من حيث تلاحم أجزائه ومقاطعه وبنيته .

إنّ التنقيح بهذا الفهم يصبح جزءا أساسياً من العملية الإبداعية نفسها وليس لاحقاً لها أو خارجاً عنها .

يمكن القول : إنّ التنقيح يؤدي عمله في اتجاهين :

أولهما وظيفي يحقق به الشاعر لقصيدته استقامة اللغة والأوزان والقوافي ويحكم البناء وتلاحم الأجزاء .

والآخر جمالي يسعى به الشاعر لإنجاز قصيدة جميلة تتحقق لها نعوت الجمال ومتطلبات التأثير .